الأستـــــــاذ: غــــفـــور عـــبــد البــاقــي.

المقيـاس: مدخل إلى علوم التربية.

السنة الأولى جذع مشترك.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

**المحاضرة السادسة: تطور الفكر التربوي عبر العصور.**

لقد مرّ الفكر التربوي بمراحل عديدة وعبر أزمنة وبمفاهيم مختلفة. وسنأتي على ذكر المراحل التي تطور فيها الفكر التربوي.

**أولا: التربية لدى الأقوام البدائية:**

التربية البدائية هي ذلك الطور من التربية الذي شهد الحياة البشرية في أوائل سيرتها وقبل نشوء الحضارات القديمة. فالتربية في المجتمعات البدائية تمتاز ببساطتها وقلة مطالبها وبدائية وسائلها مثلها في ذلك مثل الحياة العامة التي كانت تحياها تلك المجتمعات، ومن هنا فإن التربية البدائية كانت تتكون من عمليتين رئيسيتين هما: الإعداد اللازم للحصول على ضروريات الحياة من مأكل ومشرب وملبس ومأوى. وتدريب الفرد على ضروب العبادة التي يستطيع بواسطتها أن يرضي عالم الأرواح. ولتحقيق ذلك، كانت تعتمد التربية على التلقين والتدريب العملي والتقليد اللاشعوري، وكان يقوم بها المجتمع بأسره. حيث كان الطفل يتدرب على مختلف الأعمال التي تمارسها القبيلة . أما عن التربية الدينية فقد كانت في بداية الأمر في يد الأسرة، ثم انتقلت إلى القبيلة على أساس ضرورة العبادة الجماعية بين أفراد القبيلة، كإعداد المراسيم والطقوس والطلاسم، وكل ما يرتبط بالعبادة.

**ثانيا: التربية الصينية:**

تتصف هذه التربية بروح الجمود والمحافظة على كل قديم. وكانت طرق التدريس تعنى بتمرين الذاكرة والحافظة. وكان الأهالي يقومون بعملية التربية والتعليم نظرا لتخلي الدولة عن رعايتها. وكان توجه الأباطرة الدكتاتوريين في ذلك الوقت هو تقييد التعليم في أضيق نطاق حتى يظل سواد الشعب جاهلا، غافلا عن حقوقه تجاه الأباطرة. وقد عمِل بنظام الامتحان في الصين القديمة، وكانت الحكومة تشرف على الامتحانات، وتنقسم الامتحانات إلى ثلاثة أقسام :

- امتحانات الدرجة الأولى:وتجرى كل ثلاثة أعوام، وهي عبارة عن كتابة ثلاث رسائل مختارة من كتاب كونفوشيوس، ويوضع الطالب أثناء الامتحان في غرفة لمدة 24 ساعة.

- امتحانات الدرجة الثانية:وتجري بعد أربعة أشهر من الامتحانات الأولى، وهي تشبه الامتحانات الأولى إلاَ أنَها تستمر ثلاثة أيام.

-امتحانات الدرجة الثالثة: والتي تقام في العاصمة وتدوم ثلاثة عشر يوما، طبعا نسبة النَجاح في هذه الامتحانات قليلة، إلاَ أنَها المعيار الذي يختار بناء عليه موظفو الحكومة. والنَاجح في كل هذه الامتحانات يكون موضع ثقة الشعب واحترامه. وكان النَاجحون يرتدون لباسا خاصا بهم، ولهم أوسمة يحملونها، ولهم الصدارة في

الحفلات والاجتماعات والأعياد الرسمية.

ويعد "كونفوشيوس" أعظم مفكر في عهد الصين القديمة وأكثرهم تأثيرا في تكوين وتطور الفكر الصيني القديم على الإطلاق، وقد عاش في عصر اضطراب سياسي واجتماعي. وقد درس "كونفوشيوس" التقاليد الصينية، كونه كان يؤمن بأن التقاليد وحدها هي التي يمكن أن تقدم إنسانا راشدا ذا فكر يمكنه من أن يعيد بناء النظام الاجتماعي والسياسي على نحو سليم. ومن المبادئ التي نادى بها دراسة الفضيلة، وخدمة الأقارب، وآداب اللباس وأشياء أخرى تتعلق بشؤون الفلسفة الروحية.

ويمكن القول أنَ التربية الصينية ركَزت على نشر التعليم حتى غدت الصين أغنى بلاد العالم بالمدارس.

**ثالثا: التربية في الهند القديمة.**

إنّ التربية في المجتمع الهندي القديم هي من اختصاص المؤسسة الدينية ممثلة في الكهان، واستمدت محتواها الفكري من النّسق المعرفي الأسطوري. فالتربية في ضوء الثقافة الهندية القديمة تعني تمكين الطفل في الأسرة من تقليد خبرة الآباء في جلب الرزق في نطاق الانتماء الطبقي، وتعطيل دوافعه الفردية الذاتية في المدرسة الكهنوتية، وتكريس للشخصية اللاإرادية القابلة طوعا للتحلل في الماورائيات.

**رابعا: التربية لدى قدامى المصريين.**

نظرا لتعقَد المجتمع والحياة في مصر القديمة، كان لابد للمصري أن يتقدم خطوات أبعد من الإجراءات التربوية البسيطة التي كانت موجودة. إذ لم يكن من المستطاع أن يكتسب الفرد الخبرات اللازمة ليصبح عضوا فعالا في المجتمع من مجرد عمليات تقليد الكبار. ولهذا كان لابد من وجود تعليم ونظام مدرسي معين. لذا فتحت المدارس والمعاهد العلمية، وطرق أبوابها التلاميذ ليكتسبوا الخبرات الثقافية والتكنولوجية اللازمة. وقد اخضع الكهنة لنفوذهم الفنونوالحرف ومختلف المناشط الفنية العليا في الدولة، ولم تكن هذه الفنون والحرف والتعلم في المدارس لكل من يريد تعلمها. وكان النظام التربوي المتَبع قاسيا، وعلى شكل مراحل كالآتي:

- مرحلة تعليم أولية للأطفال في مدارس ملحقة بالمعابد، حيث يوجد مكان خاص بالعلم والتعليم.

- مرحلة متقدَمة، وهي عبارة عن مدارس نظامية يقوم بالتَعليم فيها معلَمون مختصون، إلاَ أنَها كانت تقتصر على أبناء الفراعنة و الطبقة الأولى والخاصة.

- مرحلة التعليم المهني.

- مرحلة التعليم العالي، حيث كانت لديهم جامعات تدرَس علوم الرياضيات والفلك والطب والهندسة.

ولقد تركَزت أهداف التربية في مصر القديمة في ثلاثة أهداف هي:

- إعداد الموظفين اللازمين للجهاز الحكومي.

- الاستقامة الخلقية في الدنيا.

- الإعداد للحياة الآخرة، حيث كان المصريون القدامى يؤمنون بالبعث بعد الموت، وبخلود الروح، والثواب والعقاب في الدار الآخرة. وكانوا يعتقدون أن الأرواح تعود لتسكن الأجساد من جديد، ولهذا لجأوا إلى التحنيط، وبنوا الأهرامات ليحفظوا فيها جثث ملوكهم، وهذا ما جعل طبيعة المجتمع والحياة المصرية القديمة التي تتسم بالتعقيد وبتنوع الأساليب والطرق المستعملة في تربية الأبناء وتعليمهم.

**المحاضرة السابعة: التربية لدى اليونانيين والرومان.**

كانت غاية التربية أن يصل الإنسان إلى الحياة السعيدة والجميلة ويكون ذلك بوصوله إلى الكمال الجسمي والعقلي. وكان الإغريق هم أول من تناول التربية من زوايا فلسفية، وكانت التربية محور اهتمام فلاسفة أثينا. حتى أنَ البعض يرى بأنَ الثقافة والأفكار اليونانية هي أساس معظم الثقافات التي ظهرت في أوربا، وهم ينكرون ما قدَمته الحضارات الأخرى.

أمَا التربية عند الرومان فكان للدين أثرا كبيرا عليها، على عكس ما كانت عليه التربية اليونانية. كما أنَ التربية اليونانية تربية علمية فنية مثالية، في حين أنَ التربية الرومانية كانت علمية مادية، نفعية، وكانت غايتها خلق الفرد المتمرَس في الفنون العسكرية والمتدرَب على الشؤون الحياتية العلمية**.** وفي سياق التربية الإسبرطية فإنَ الفرد ليس له اعتبار إلاَ بالنظر إلى الجماعة، ومنذ ولادته يصبح الطفل تحت تكفَل الدولة. نفس الاعتبارات أدَت بإسبرطة أن تتكفَل بتربية البنات اللواتي كان من المطلوب أن يكنَ أفرادا خاضعين للمصلحة العامة، شأنهنَ في ذلك شأن الرجال.

**سادسا: التربية عند العرب.**

كان العرب في الجاهلية ينقسمون إلى قسمين كبيرين هما البدو والحضر، وكانت العائلة هي أهم وسائط التربية عند العرب خاصة البدو منهم. وكان أهم ما يتعلَمه البدو هو الصيد والرماية والقنص وإعداد آلات الحرب، بالإضافة إلى تعلَم القتال لردع الأعداء ومنازلة الوحوش الصحراوية، وكانت الوسيلة التربوية المتَبعة في ذلك كله، هي المحاكاة والتَقليد، أو طريقة النَصح والإرشاد من كبار السن وشيوخ العشائر.

وفي غمار التَقاليد الجامدة المتبنَية، عاش سكان شبه الجزيرة العربية، وكانت ذخيرتهم العقلية ما يتوارثونه جيلا عن جيل. وقد اختارت القبائل أرجح رجالها عقلا وأعلى حكمة ليكونوا شيوخا فيها يحكمون بين النَاس، وترابطت القبائل فيم بينها بروابط التجارة والسوق الأدبية، حتى أنَه يقال أنَ قصائد الشعر السَاحرة كانت تنزل في أول الأمر منزلة وحي الكهان، وكانت القبائل ترفع السيوف بعد سلام سعيا وراء خير أو رد للإهانة. وكانت التربية مقتصرة على تعليم الأطفال القراءة والكتابة وقليل من الحساب.

**سابعا:** **التربية المسيحية.**

أثــَرت ولادة سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام على المجتمع الروماني تأثيرا كبيرا، إذ كان لها كبير الأثر على نقل السلطة الرومانية من المستوى المدني الدنيوي إلى المستوى الروحي، وكان هدف الدين المسيحي تخليص المجتمع والعالم بأكمله من النظام الوثني الفاسد. حذَرت الكنيسة من أنَ عملية الإصلاح لا تتمَ في الأمة إلاَ من خلال تغيير الأفراد أنفسهم، وبهذا اصطبغت التربية المسيحية بالصبغة الدينية الصرفة، التي بدأت من الأسرة ثم الكنيسة، وبقي الحال كذلك إلى أن أضيفت تربية دنيوية وحيدة، وهي الفروسية وذلك في عصر الإقطاع الزراعي على يد بعض الأباطرة والملوك الأقوياء. ولم يسمح للمسيحيين بإنشاء مدارس إلاَ بعد أن ظهر رجال أقوياء منهم، أثَروا على أباطرة الرومان وقاموا بإنشاء مدارس خاصَة بهم إلى جانب المدارس الرومانية الوثنية. وبالتدرَج انتقلت سلطة المدارس الرومانية للكنيسة، وبقى الحال كذلك لفترة طويلة من الزمن. إلاَ أنَ التَعليم في هذه الفترة كان مقتصرا على رجال الكنيسة وأبناء الطبقات العليا، فوصلت دول أوربا المسيحية في ذلك الوقت إلى عصر الظلم والانحطاط .

**ثامنا: التربية في العهد الإسلامي.**

بعد أن كانت التربية قبل الإسلام مقتصرة على تعليم الأطفال القراءة والكتابة وقليلا من الحساب، جاء الإسلام بتربية جديدة تحرص على التَعليم. قال الله تعالى:﴿ قل هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعلمون﴾. وقال أيضا: ﴿ وقل ربي زدني علما﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة."

وكانت التربية الإسلامية خلفية وجسدية، تهتم بأخلاق الفرد وتنمية القوى الجسدية وخلق المحارب وبث روح الفضيلة، وغرس الصفات النَبيلة عنده كالإخلاص والوفاء وكرم الضيافة.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية لاعب ولدك سبعا وأدبه سبعا واصحبه سبعا ثم اتركه بعد ذلك. وهذا القول يعتبر منهجا تربويا كاملا وتقدميا. وجوهر التربية الإسلامية نابع من الفلسفة الدينية الإسلامية، وهي أن الإسلام ليس مجرد شريعة ودين، وإنَما هو فلسفة كاملة وطريقة حياة شاملة تدعو العقول للعمل والتفكير. ولم تكن المدارس بالمفهوم الحديث موجودة في العصر الإسلامي، فقد كان التعليم في المساجد والكتاتيب وحوانيت الوراقين. وهكذا كان للتربية الإسلامية مكانة واضحة وملحوظة في هذا الإطار الحضاري وكان لها أصولها التي جاءت من العصور الجاهلية القديمة وتبلورت بالإسلام الذي رفعها إلى التقدم والانتشار.

واهتمام التربية الإسلامية المتوازن بالدنيا والآخرة انعكس على اهتمامها بتربية الإنسان، حيث اهتمت بجوانب الشخصية المختلفة اهتماما متوازنا فجمعت بين تأديب النَفس، وتصفية الروح، وتثقيف العقل، وتقوية الجسم. ومن ثمَ اهتمت بتدريس جميع أنواع العلوم، وهدفها في ذلك تعميق الإيمان بالله تعالى في نفوس المسلمين، من خلال فهمهم لقوانين الكون ونظامه المحكم الذي يدل على عظمة الخالق عز وجل وقدرته وسلطانه**.**

**المحاضرة الثامنة: النظرية المثالية في التربية:**

**حياة أفلاطون (472-347 ق.م).**

ولد أفلاطون في "أثينا"، من أسرة عريقة. في العشرين من عمره التحق بسقراط تلميذا له، ولازمه إلى أن قضى سقراط نحبه. ولقد تأثّر أفلاطون كثيرا بأفكار أستاذه سقراط. بعد ذلك عهد التنقل والرحلات، ثم عاد إلى أثينا. وأنشأ مدرسة الأكاديمية، وشرع يدرّب فيها الشباب على البحث، لتخريج المشرعين والسياسيين والحكماء.

نشأ أفلاطون اليوناني في ظل دولة "أثينا"، وعاصر حروبا طويلة، وعاش أحداثا سياسية مضطربة، ورأى أوضاعا اجتماعية لم تعجبه. كما عاش في أفضل فترات أثينا، حيث كانت الثقافة اليونانية في أوج ازدهارها في عهد "بيركليس"- عهد العلم السقراطي وفن فدياس-

لقد أولى المثاليون عموما اهتماما بالغا بالتربية وكتبوا عنها كثيرا، فأفلاطون جعل التربية أساسا في إقامة مدينته الفاضلة، ورغم ما يشوب النظرية المثالية من خيال، فإنها من النظريات الأساسية في التربية باعتبارها من أقدم النظريات التربوية التي سجّلتها لنا المصادر التربوية، والتي أثّرت في الفكر التربوي منذ عهد أفلاطون حتى الآن. وإن كان هناك من نادى بها قبله، إلا أن افلاطون يعتبر أبا للمثالية، لأنه هو من دوّنها ورتّبها بشكل منظّم. كما يعتبر أفلاطون واضع الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم. ومن أهم مؤلفاته: "الجمهورية" و "القوانين".

**أفكار أفلاطون:**

يعتقد أفلاطون بوجود ما يسميه العالم الحقيقي الموجود فيه الأفكار العامة والتي لها وجودها المستقل لا تتبدل ولا تتغيّر، بينما العالم الواقعي لا يمثل الحقيقة النهائية بل هو خيال للعالم الحقيقي. وبذا فإنّ الطبيعة الحقّة للشيء لا توجد في ما تقدّمه لنا الحواس بل في المثال الذي تنبع منه، وهذا ما لا يمكن التوصّل إليه إلا بالعقل وحده. وعلى ذلك فإنّ نظرية أفلاطون في الصور تقوم على وجود عالم ثابت هو العالم المعقول فوق العالم المتغيّر وهو العالم الحسي. وهذه الصور الموجودة في العالم المعقول تتّصف بالثبات والضرورة والكلية.

ويرى المثاليون أنّ أهم ما في الإنسان هو فكره، وأنّ أهم ما في هذا الفكر هو ما توصّل إليه السلف، والإنسان لا يستحق اسمه إلاّ إذا حصل على هذا الفكر، ومن أجل هذا كان لا بدّ من فرضه وإملائه على التلميذ ليكون إنسانا وفقا لوجهة نظر المثاليين.

فالهدف من التربية من وجهة نظر المثالية هي إعداد الإنسان للحياة بتزويده بالمعرفة، كي يصبح إنسانا خيّرا. والبحث عن الحقيقة هو أحد الأهداف الرئيسية للتربية المثالية. ويؤكّد المثاليون على أهمية الجانب العقلي والروحي في الإنسان، فأي نوع من التربية لا يكون واقعيا عند المثاليين إلاّ إذا اهتم بالعقل. فوظيفة التربية هي أن تساعد الإنسان على الوصول إلى الكمال أو عالم المثل.

وتؤكد التربية المثالية على أهمية الجانب الأخلاقي في المتعلّم حتى تسمو نفسه. فالطفل يجب أن يتعلّم أن يعيش بقيم ومثل دائمة تجعله في انسجام مع الكل الروحي الذي ينتمي إليه.

ولقد انعكست هذه الأهداف على ما ينبغي أن تقدمه المدرسة للتلميذ، وكذا على طريقة التدريس، والدور الذي ينبغي أن يقوم به المعلم. ففي التربية المثالية، لا يمكن الاستغناء عن المربي، لأنه هو الذي يقوم بتهيئة الجو المناسب للمتعلّم. كما تهتم الفلسفة المثالية بالمادة الدراسية حيث اهتمت بدراسة علم النفس والأخلاق والمنطق

والدين والعلوم الإنسانية بصفة عامة، لأن هذه العلوم هي التي تخدم غرض التربية المثالية بصدق وأمانة.

**المحاضرة التاسعة: الفلسفة الطبيعية:**

لم يقتصر "روسو" في تطبيق نزعته الطبيعية على الميدان التربوي فقط، بل تعداه إلى ميادين الفلسفة والدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع. فكان له في هذه الميادين جميعا أفكارا بارزة، تتفق مع نزعته الطبيعية. لذا يجدر بنا قبل أن نتحدث عن أفكاره التربوية أن نشير بإيجاز إلى أهم العوامل التي أثرت في حياته.

**حياة "جان جاك روسو" (1718م-1778م):**

اسمه "جان جاك إسحاق روسو"، ولد بجنيف. كان أبوه صانع ساعات، وكانت أمه أديبة، وابنة لأحد القساوسة. ولم يكد "روسو" ليبلغ الأسبوع الأول من عمره حتى توفيت والدته بسبب مضاعفات الولادة، وقد كانت لهذه الحادثة أثرها النفسي المؤلم في حياته، بعد أن كبر وعلم بها. وقد كفلته عمته بعد وفاة أمه، ولكن لم تكن تعتني به عناية الأمومة. كان أبوه يقرأ له كل ليلة مما تركته أمه من كتب، ثمّ تحوّل "روسو" إلى قراءة كتب التراجم والتاريخ، فنمت عنده عادة القراءة التي كان لها أكبر الأثر في تكوين شخصيته الفكرية فيما بعد. وفي سن العاشرة من عمره بعث به أبوه إلى مدرسة خارج "جنيف" ، حتى إذا ما بلغ سن المراهقة، بدى "روسو" فاشلا تماما في تكييف نفسه مع الحياة الاجتماعية والمهنية، لذا كانت حياته في هذه الفترة الأولى من شبابه يغلب عليها البؤس، والتشرد، والتسكع، والبطالة، وإطلاق العنان لغرائزه وعواطفه. وفي التاسع عشر من عمره حدث تغيّر جذري في حياته، عندما تعرّف على سيدة كاثوليكية آوته، ودفعت به إلى المدرسة، وشجعته على اعتناق الكاثوليكية بعد أن كان بروتستانتي المذهب.

وفي عام 1741 رحل إلى باريس حيث تعرف على خادمة غبية على جانب كبير من الخشونة، وعاش معها بقية حياته لمدة ثلاثا وعشرين عاما، كصديقة ثم كزوجة، وأنجب منها خمسة أطفال، كان مصيرهم جميعا بيت اللقطاء.

ولكن بالرغم مما أصبح عليه "روسو" من سعة الاطلاع واتساع دائرة الخبرة والنضج الفكري، فإنه بقي دون أن ينتج شيئا يستحق الذكر. إلى أن لفت انتباهه إعلان في مجلة « Le mercure de France » عن جائزة من قبل اكاديمية "ديجون العلمية" « The Académy of Dijon » لمن يفوز في مقال عن السؤال الآتي: "هل تقدم العلوم أدى إلى فساد الأخلاق أم نقائها"؟ فقرر فورا الاشتراك في تلك المسابقة، وكتب بحثه الموسوم:"مقالة في الفنون". فكان العنوان الذي نال موافقة أعضاء الأكاديمية وإعجاب الجماهير بعد نشره. وقد كان نجاحه هذا نقطة تحول في حياته الفكرية، كما فتح أمامه آفاقا جديدة للمجد والشهرة. ولكن كتاباته التي جلبت له الشهرة والمجد لفترة من الزمن من حياته، هي نفسها التي جلبت له البؤس والشقاء في آخر حياته، حيث أثارت أفكاره السياسية المتحررة حفيظة رجال السياسة والحكم. ولقد وافته المنية بسكتة قلبية في قرية تبعد عن باريس بحوالي 20 كيلومتر، ودفن بها، واستمر بها حتى جاء الثوار بعد انتصاراتهم في الثورة الفرنسية، وحملوه إلى باريس حيث دفن في مقبرة العظماء بعد أن مكث 16 سنة بين أحضان الطبيعة التي كان يحبها ويعشقها. ومن أشهر مؤلفات "روسو" كتابيه: "العقد الاجتماعي" و "إميل".

**أفكاره عن التربية الطبيعية:**

تعمل التربية الطبيعية على تمجيد الطبيعة، ومحاولة تقوية صلة الطفل بها وبما حوته من حيوان ونبات وجماد. كما تعني التربية الطبيعية إعطاء الطفل أكبر نصيب مستطاع من الحرية. فالمراد من التربية الطبيعية نوع من التربية يدعو إلى أخذ الطفل بما يوافق طبائعه، ويلائم ميوله ورغباته ويحث على تشجيع وتنمية سائر إمكانياته الفكرية والعاطفية والأخلاقية واستغلالها في تربيته إلى أقصى قدر مستطاع.

ويعتقد "روسو" بأنّ الإنسان يولد طاهرا خالصا من الرذائل، ولا يغيره ويفسده إلا الإنسان الذي يتصل به، والبيئة التي يتأثر بها. فالإنسان في طبيعته الأولى لا يعرف قيودا ولا حواجز، ويتصرّف بتلقائية وغريزة، فحاجاته قليلة وإرضاؤها سهل وسريع.

ويرى "روسو" أن تجربة الطفل هي المصدر الوحيد للمعرفة، وبالتالي فهو يرفض المناهج التقليدية في التربية، فالإسراف في مجال التربية بالنسبة له، لا يزيد الإنسان إلا انسياقا للشهوات وتباعدا عن أخيه الإنسان.

لقد نادى "روسو" بمبدأ التربية السلبية والذي مفاده، ألاّ نعلّم الطفل شيئا لا يطلب تعلّمه، فنترك له الحرية في الحركة والاحتكاك واكتساب الخبرة العملية، فالفرد هو محور العملية التربوية.

وينصح "روسو" بأن لا يركن المربي إلى النصح والإرشاد في تربية الأطفال تربية خلقية، فإنهما لا يجديان، وإنما عليه أن يسلك الطرق العملية القويمة، فيدفع الغلام إلى مخالطة الناس، وينصب نفسه قدوة حسنة له.

**المحاضرة العاشرة: الفلسفة البراجماتية.**

البراجماتية تعني "ما هو عملي"، ومن هنا أطلق عليها اسم "الفلسفة العملية"، لذلك فهي تهتم بالعمل على حساب النظر.

ولقد ظهرت البراجماتية في الولايات المتحدة الأمريكية على يد "وليم جيمس" في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ثم اتخذت طابعا خاصا على يد "جون ديوى " الذي اشتهر في العالم كله بوصفه مفكرا تربويا. وتحمل هذه الفلسفة في طابعها سمة الحياة الأمريكية.

**حياة جون ديوي.(1859-1952م)**

يعتبر "جون ديوي" من أشهر أعلام التربية الحديثة على المستوى العالمي، ولد في مدينة "بورلنجتن" في الولايات المتحدة الأمريكية، قضى شطرا كبيرا منها في المطالعة والتدريس والتأليف والأسفار. كان والد "ديوي" ينتمي إلى طبقة المزارعين، وكان في حالة اقتصادية جيدة، وأمه من أسرة مثقفة، وحريصة على تعليمه. فنشأ "ديوي" منذ صغره محبا للقراءة والاطلاع، وكان يقضي معظم وقت فراغه في المكتبات. وعندما تزوج "أليس" أثّرت به تأثيرا عظيما ودفعته إلى الاهتمام بمشاكل الحياة المعاصرة.

بعد إتمامه لتعليمه الجامعي، اشتغل بالتدريس لفترة من الزمن في إحدى المقاطعات، ثم ما لبث أن تاقت نفسه لمواصلة دراسته العليا في ميدان الفلسفة والعلوم السياسية والتاريخية، واستطاع في سنوات قليلة أن يحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة ، وينضم إلى جامعة "ميتشيجن" كمحاضر في الفلسفة. وقد نال "ديوي" شهرة فائقة كفيلسوف مفكر وكمصلح تربوي كبير. وقد دفعت هذه الشهرة كثيرا من الدول المتقدمة إلى الاستعانة به في إعادة تنظيم تعليمها. وقد ظل "ديوي"في نشاط علمي دائب حتى توفي في عام 1952م، عن عمر يناهز الثانية والتسعين سنة.

ولقد ألف "ديوي" عدة كتب من أشهرها " الطفل والمنهاج " ،" كيف نفكر"، "المدرسة والمجتمع"،" الديمقراطية والتربية"، "الخبرة والتربية" و " الطبيعة البشرية والتربية."

**أفكار "ديوي":**

يرى "ديوي" بأنّ الميزة الأساسية للحياة هي التغيّر.

ويرى البراجماتيون أنّ العالم المادي يوجد في حدّ ذاته وليس مجرّد إسقاط من جانب العقل، ولكنهم يؤكدون أنّ العالم ليس دائما، ولا مستقلا عن الإنسان، حيث أنّ التغيّر هو جوهر الحقيقة، فإنّنا لا نستطيع أن نثق في أنّ أيّ شيء سوف يظل ثابتا إلى الأبد.

ويرى البراجماتيون أنّ الإنسان كائن طبيعي يعيش في بيئة اجتماعية وبيولوجية ويستجيب إلى المثيرات البيولوجية والاجتماعية، وهي ترفض كون الإنسان كائنا روحيا.

حتى الحقيقة – في نظرهم – فهي نسبية وقابلة للتغيير. فالحقيقة هي ما يصل إليه الإنسان بعد أن يكون قد درس الدلالات بعناية، ولأنّ الحقيقة تعتمد على المعلومات المدروسة وعلى الطرائق المستخدمة في دراساتها. فمن الضروري أن تراجع وأن يتّسع نطاقها كلما استخدمت طرائق أفضل، وكلما اكتشفت معلومات أكثر. فالحقيقة ليست مطلقة، وصدق الفكرة معناه التحقق من منفعتها عن طريق التجربة. والمنفعة هي كل ما يسهم في تألق حياة الإنسان والمجتمع، وليست مقصورة على إشباع الحاجات المادية للفرد وحدها.

حتى القيمعند البراجماتيين متغيرة، فلا توجد قيم ثابتة، فكل شيء في حالة تغير وتطور، وكل إنسان يبني عالمه وقيمه بنفسه في ضوء معيار المنفعة.

وقد انعكس هذا الفكر البراجماتى على المنهج التربوي. فالطفل هو مركز العملية التربوية، ولقد طلب "ديوي" بضرورة ربط خبرات الطفل المباشرة ربطا مفيدا بالمعرفة المنظمة، ودعا إلى التخلي عن الفكرة القائلة بأنّ المواد الدراسية شيء جاهز ثابت خارج عن خبرات الطفل. وخبرات الطفل شيء صعب، ومؤكد أنه حين ينظر إلى خبرات الطفل على أنها شيء متدفق حيوي يصبح الطفل والمنهاج وجهين لعملة واحدة. والبراجماتية لم تجعل من المعلم محورا للعملية التربوية. وترى أنّ التربية هي الحياة. حتى المعرفة ليست غاية في ذاتها عند البراجمتي، وانما تُقدَّم بما يترتب عليها من منفعة للمتعلم.

كما أنّ التربية عند البراجماتيين تعتمد على التفاعل الحر بين المتعلم وبيئته وايجابية المتعلم، وأن يواجه التلميذ مشاكل الحياة.

ولقد دعا "ديوي" إلى وجوب الاتّصال والتعاون بين المدرسة والبيت، كما دعا إلى احترام ميول الطفل وحاجاته وحريته في التعبير عن نفسه، ووجوب مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ.

**بالتوفيق.**